

” ما وراء الأخلاق و الأخلاق المعيارية ”

د. مصيونة أحمد الفاهري

جامعة بنغازي - كلية الآداب - قسم الفلسفة

ملخص

يتناول هذا الموضوع مباحث ما بعد الأخلاق (Meta Ethics) التي تتناول القضايا الأخلاقية و علاقتها بالصدق، و بنيان وأصل النظريات الأخلاقية و هي نتاج العصر الحديث، عندما تحولت العلوم إلى تحليل منطقي في مناهجها، و فلسفة الأخلاق المعيارية (Normative Ethics) التي حظيت باهتمام الفلاسفة الغربيين في العقود الأخيرة، و كُتبت بحوث كثيرة في تأييدها و رفضها، كما يتعرض هذا البحث في البداية إلى معرفة تصنيف فلاسفة الأخلاق المعاصرين، لأفعالهم الأخلاقية عن طريق تمييزهم بين نوعين من المبادئ الأخلاقية:- الأولى يتألف من الأحكام المعيارية بمختلف درجات التعميم سواء أكانت أشياء أم أفعالاً، أو صفات صالحة أم فاسدة، و كذلك إذا كانت و صواباً أو خطأ، و النوع الآخر يتألف من تحليل منطقي لمعاني تلك الأقسام الأخلاقية الشارحة، عن طريق تأييد و دعم تلك الأحكام، و يحاول هذا البحث أيضاً أن يشرح بصورة مختصرة جداً النظريات و الآراء التي انتهت إلى المذهب الإرشادي، لتتضح من خلال ذلك . و إلى حدّ ما الأبعاد المختلفة للبحث، و سنحاول معرفة مدى مشروعية هذا التمييز مع اقتصار مهمة الفيلسوف على (الميتا أخلاق)، و ما إذا كان للأخلاق الفوقية الانفعالية أية عواقب منطقية على الأخلاق المعيارية؟

تقديم

تتناقض نظريات الأخلاق الفوقية مع الأخلاق المعيارية، التي تعتبر فرعاً من الفلسفة الأخلاقية الباحثة في مضمون الأخلاقيات، و غاياتها و فضائلها و رذائلها و مبادئها، و في الكيفية التي يمكن أن تتألف بها المتطلبات الأخلاقية أو تتصارع، كما تبحث في كيفية توضيح الصراع الأخلاقي و ربما في حل ذلك الصراع، حيث قام فلاسفة الأخلاق بالتعبير عن هذا التمييز في دراستهم لمعايير السلوك بطرق مختلفة منها:- التمييز بين (الإعلانات الأخلاقية)، و (الفلسفة الأخلاقية)، و بين الأخلاق المعيارية (التقييمية)، و (الدراسة

التحليلية أو المنهجية للأخلاق)، ثم بين (النظم الأخلاقية)، و النظرية الأخلاقية و فلسفة الأخلاق، و بشكل محدد بين المعتقدات الأخلاقية و النظرية حول مكانة الحمل الأخلاقية، هذا التمييز الأخير اقترحه الفيلسوف النفعي (تشارلز هير R. M. Hare) الذي يعرف الأخلاق بأنها:- (الدراسة المنطقية للغة الأخلاق)، " و أغلب الفلاسفة المعاصرين في الأخلاق المنادين بهذا التمييز يعتبرون مهمتهم بوصفهم فلاسفة ليس عملاً أخلاقياً معيارياً، و لكن عمل ما وراء الأخلاق التي تشمل دلالات الحدود الأخلاقية و مسائل من قبيل ما إذا كانت الأحكام الأخلاقية موضوعية أو ذاتية" (1).

و الأمثلة عن المبادئ الأخلاقية المعيارية هي نظريات عامة:- مثل السعادة أو الصالح أخلاقياً كفعل يؤدي بفعل من الواجب أو أخلاق تحقيق الذات، و كذلك أحكام معيارية مفردة أو معينة، فإن أغلب النظريات الأخلاقية معيارية، أي أن المعايير ذات الصلة:- (سابقة منطقياً / و ثابتة / كاملة / و قابلة للتطبيق بشكل مباشر)، و على الرغم من أن العديد من الفلاسفة قد ينكرون أن آراءهم معيارية بحسب هذا العرض إلا أن صفة أغلب المناقشات في الأخلاق تقترح بأن هذه النظرة مازالت فاعلة إن لم تكن سائدة و مهيمنة.

بينما الأمثلة التي تدل على النوع الثاني (الميتا أخلاق) هي الاستلهامية أو الطبيعية أو الانفعالية أو الأخلاق الميتافيزيقية بالمعنى المحدد بواسطة كتاب (أي جي مور، G. E. Moore، 1873 - 1958م)، المسمى (في مبادئ الأخلاق) عندما اعتبر الأخلاق علماً غير طبيعي يتسم موضوعه بالبساطة، و غير قابل للتعريف، المتمثل في الإصرار على أن ما هو (طيب / جيد / صالح Good)، كنفد حاد للنسبية الأخلاقية، حيث استطاع تفنيد (أكذوبة الطبيعية) على أساس أن الصحيح غير قابل للتعريف و بسيط و غير طبيعي، و ذو صفة جوهرية (و لذلك ليس مطابقاً بأية خاصية طبيعية أو لأية مجموعة خواص طبيعية) (2). و هي على ذلك الأساس ذات أهمية و جاذبية ملحوظة لدى الفلاسفة الآخرين، بينما يدمجها العديد منهم مع تميزات أخرى كما بين العلم و فلسفة العلم، أو (المعرفة) أو

(1) أوليفر ليمان: مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، أفاق جديدة للفكر الإنساني، (عالم المعرفة 301 مارس، 2004م)، ص92.

(2) C. D. Brood: "Discussion The Philosophy of G.E. Moore", Mind, vol.lxx, 1961, No. 280. p63.

بين الغرض اللغة و ما فوق اللغة، أو بين مقولات الترتيب الأول الذي يقصد به المعتقدات، أو الأحكام الأساسية و مقولات الترتيب الثاني (الفوقية).

أهمية بحث المذهب الإرشادي الأخلاقي

تعتبر ما بعد الأخلاق (meta ethics) دراسة لطبيعة و تبرير المعايير الأخلاقية العامة، و القيم و المبادئ و النظريات، و بمصدر و معنى المفاهيم و المصطلحات الأخلاقية من خلال تناولها الأبحاث المتعلقة بالعبارات الأخلاقية، فإن موضوع البحث على عكس الأخلاق السليمة التي هي أفعال الإنسان الاختيارية هي العبارات الأخلاقية، مثل العدل حسن، و يجب عدم الظلم...، و يمكن دراسة العبارات و الجمل الأخلاقية من عدة جوانب و أبعاد و محاولة الإجابة عن جملة من الأسئلة منها:-

1 . معرفة دلالات الألفاظ (التحقيقات المعنائية Semantical questions)

في هذا النوع من التحقيقات ما بعد أخلاقية، تجري دراسة الجمل و العبارات الأخلاقية من حيث المعنى، فعلى سبيل المثال تطرح في هذا النوع من التحقيق أسئلة من قبيل:- هل للمفاهيم الأخلاقية معنى وصفيًا أم معنى إرشادياً؟ هل يمكن تعريف المفاهيم الأخلاقية أم لا؟ ما هي معاني المفاهيم من قبيل: الحسن يجب، يجب أن لا، الصحيح، الخطأ، القبيح، و الواجب؟ أو على سبيل المثال ما هي معاني مفاهيم: العدل، الحرية، الظلم و...، التي لا تعتبر بشكل مباشر من المفاهيم الأخلاقية، أو أهما غير واضحة إلى حد ما؟ أو ما معاني مفاهيم مقدمة فرض الأخلاقيات مثل:- القرار، الرغبة، الاختيار، الدافع، و...، و إلى أي مسألة تشير؟

2 . أسئلة نظرية المعرفة (questions Epistemological)

في هذا النوع من التحقيقات ما بعد أخلاق، تُطرح أبحاث نظرية المعرفة حول شرح العبارات الأخلاقية، و هل أنّ شرح العبارات الأخلاقية يمنح المعرفة أم لا؟ هل هي عبارات خبرية Declarative أم إنشائية؟ و هل تحتمل الصدق و الكذب أم لا؟ و....

3. الأسئلة المنطقية وقضايا الأخلاق المنطقية (Logical questions)

في هذا النوع من التحقيقات ما بعد الأخلاق، تجري دراسة علاقة العبارات الأخلاقية مع بعضها بعضاً، وكذلك علاقتها مع العبارات غير الأخلاقية، وهي مسألة مهمة للغاية، وهنا يجب دراسة (العلم و القيمة) (3).

و الجدير بالذكر هنا هو أنّ هذه الأبعاد الثلاثة ترتبط بشدة ببعضها بعضاً، وأنّ نتائج التحقيقات في كلّ قسم تؤثر على التحقيقات في الأقسام الأخرى، بل يمكن أن يُطرح بُعدان أو ثلاثة معاً في كلّ بحث، و تسوقنا إلى نتيجة في مسألة ما بعد الأخلاق.

مبررات التمييز بين الميتا أخلاق و الأخلاق المعيارية

مبدئياً يمكننا القول بأن هناك مبررات واضحة للتمييز بين الأخلاق المعيارية و الأخلاق الفوقية، يتمثل في التمييز العام بين الاستخدام و الإدلاء، و بين استخدام التعبير و التحدث حوله، و بين معرفة كيفية استخدام لغة، و معرفة كيفية شرح هذا الاستخدام بخصوص منطق التعبيرات المعينة.

يشتمل ذلك التمييز على تباين جذري، حيث يفسر بعض فلاسفة الأخلاق هذا التمييز على أن الأخلاق المعيارية و الأخلاق الفوقية مستقلان عن بعضهما بعضاً و ذلك بحسب الطرق التالية:-

— تعني الأخلاق الفوقية أو تفترض مسبقاً عدم وجود مبادئ أخلاقية معيارية محددة بحيث تتوازي الأخلاق الفوقية مع مختلف

الأخلاق المعيارية و حتى المتعارض منها، لأن الأخلاق الفوقية عبارة عن دراسة لا تهتم بوضع معايير أخلاقية بقدر ما هي محاولة لنقد و تحليل المعايير و المفاهيم الأخلاقية التي وضعها الفلاسفة من قبل.

— بينما تعني الأخلاق المعيارية أو تفترض مسبقاً عدم وجود قوانين أخلاقية فوقية محددة بحيث تتوازي نفس الأخلاق المعيارية مع مختلف الأخلاق الفوقية و حتى المتعارض منها.

(3) اميل برهية: شكوك حول فلسفة القيم، (مجلة الميتافيزيقا و الأخلاق، تموز، 1939م)، ص112.

و نتيجة لذلك يكون من الممكن التمسك بأن ما بعد الأخلاق مثل:- الانفعالية تتوازي أو تتوافق مع مختلف الأخلاق المعيارية مثل:- أخلاق السعادة و أخلاق الواجب، و في نفس الوقت إنكار أن الأخلاق المعيارية مثل السعادة تتوافق مع كل من الانفعالية و الاستلهامية، و سنبداً بفحص كل قسم من هذه الأقسام على حده بشيء من التفصيل:-

حيادية الميتا أخلاق

يدعي معارضوا النظرية الانفعالية (Emotivism)، أن الانفعالية مجرد محاولة لدحض الأخلاق، و أنها تشكل (إنكاراً تاماً لأي إلزام أو أي شيء صالح)، و الرد على ذلك هو أن النظرية الانفعالية حيادية بقدر تعلق ذلك بأي التزام أخلاقي معياري، و في رأي الانفعاليين أن ما بعد الأخلاق ما هي إلا دراسة حيادية نسبية، " و يجب عليها أن تحتفظ بذلك التباعد الصعب الذي يدرس الأحكام الأخلاقية دون أن يصنعها"⁽⁴⁾.

مما لا شك فيه أن هؤلاء الفلاسفة يعتبرون نظريات ما بعد الأخلاق (Meta Ethics)، الأخرى المتعلقة بالأخلاق المعيارية حيادية كذلك، مع ذلك يوجد دحض قوى لهذه النظرة و هو يشير إلى أن ما بعد الأخلاق تصدر أحكاماً معيارية، و لابد للفيلسوف الانفعالي من قناعات أخلاقية معيارية، و اشترط ألا يتم عرض هذه القناعات إلا على أنها عواقب لازمة أو سوابق لما بعد الأخلاق. إذن لابد أن الحيادية المدعاة بالنسبة لما بعد الأخلاق فيما يتصل بالأخلاق المعيارية (normative ethics)، تعني أنه عند الدخول في مثل ذلك التحليل لا يتضمن ذلك إلزام الفرد نفسه بأية أخلاق معيارية محددة، لينطبق عدم الالتزام على طريقتين مترابطتين و هما:-

1. فيما يتعلق باختيار موضوع بحث أو خاضع للتحليل، يمكن للباحث في الميتا أخلاق التوصل إلى هدفه دون تقييد نفسه بمبدأ أخلاقي معياري واحد مقابل مبدأ أخلاقي معياري آخر.

(4) تدهوندرتش: دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، الجزء الثاني، (دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2005م)، ص854.

2. فيما يتعلق بتقييم الموضوع الخاضع للتحليل، يمكن للباحث في الميتا أخلاق أن يحقق هدفه دون الاضطرار لإجراء، أو عمل حكم أخلاقي (المقصود حكم أخلاقي معياري)، عندما يكون المبدأ الأخلاقي المعياري الذي اختاره للتحليل في حد ذاته أخلاقيا صالحا أو فاسدا، "من وجه النظر الأخلاقية المعيارية".

يمكننا الإشارة هنا إلى أن الفيلسوف الأمريكي (ستيفنسون C.L. Stevenson، 1908م، 1979 م) يستخدم كلمة (أخلاقي) بشكل حيادي و بمفهوم واسع جدا، عندما يذكر في كتابه "الأخلاق و اللغة"، بأن: "المغزى الأخلاقي للمصطلحات الأخلاقية لم يعد جاذبا لأغراضنا أكثر من الأغراض اللا أخلاقية، لأن الموضوعات التي تقدمها ليس بها مشاكل خاصة في اللغة أو المنهجية"⁽⁵⁾.

عندما يستخدم (ستيفنسون) لفظ أخلاقي حول مفهوم ما، نفهم من ذلك بأنه قصد أن هذا المفهوم مضاد لما هو ليس بأخلاقي، أي ينتمي إلى صفات أخرى عملية أو واقعية مثل الجودة التي تعني المهارة و الدقة و الحذق في وظيفة معينة، عندما أضاف إلى نظريته في الأخلاق تحديدا مهما، و هو أن الأحكام الأخلاقية قد يكون لها معنى وصفيًا بالإضافة إلى معناها الانفعالي، فهو في نموذج من نماذج تحليله العديدة يحلل معنى الحكم الأخلاقي في عنصرين:-

أ. تقرير وصفي غير خلقي ينصب على فعل مثلا:- (بحيث يمكن تفسير هذا الفعل تفسيرًا طبيعيًا على أساس خواصه التجريبية.

ب. عنصر أخلاقي نوعي:- (و هذا هو المعنى الانفعالي) يحول وجوده دون تقلص تفسير طبيعي لمدلول الحكم الأخلاقي بأكمله، هذا العنصر الأخلاقي النوعي في مدلول الحكم الأخلاقي هو المهمة التي تقوم بها هذه الأحكام (للتعبير)، عن الاتجاهات و لإقناع الناس أو التأثير فيهم لكي يعتنقوها و ذلك بإزاء الفعل الذي نحن بصدده⁽⁶⁾ .

يبدو أن آراء (ستيفنسون) لم تلق قبولا من قبل الوضعيين الذين أتوا من بعده، و إن كانوا يعترفون بما لدراساته من أهمية من حيث المبدأ، فقد رفضوا في أغلب الأحوال ما يوحي به رأيه من نزعة غير عقلية، فقد رأى أن ليس في معنى الكلمة الأخلاقية من عنصر

(5) C. L. Stevenson, "Ethical and Language" Ed. by Binkley, Contemporary Ethical Theories, , p.27..

(6) عادل العوا: المذاهب الأخلاقية "عرض و نقد"، (ج2، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1959م)، ص38.

أخلاقي إلا قوتها الانفعالية، و هذا ما يجعل الأحكام الأخلاقية في رأيهم أقرب إلى الخطابة أو الدعاية، و ما ليس ينصف إنصافا كافيا ما قد نحتاج إليه من إقامة الحججة العقلية في المسائل الأخلاقية.

التمييز بين القيم

لا بد هنا من الفهم بأن هناك تمييزاً دقيقاً حول التقييم بشكل عام و التقييم الأخلاقي بشكل خاص.

أولاً: هناك تمييز خاص بالأغراض تحت التقييم، و هذه الأغراض قد تكون إنسانية أو لا إنسانية.

ثانياً: في داخل الإنسان نفسه يوجد تمييز أبعد بالنسبة للجوانب تحت التقييم، قد تكون أخلاقية أو لا أخلاقية.

يمكن القول بأن التمييز بين الأخلاقي و اللا أخلاقي داخل مجال الأغراض البشرية أو الإنسانية هو الفرق بين جودة الصفات التي

لدى البشر كبشر، وبين تلك الصفات التي لدى البشر في قدرة مقيدة محددة.

الفرق بين معنى و استخدام كلمتي Moral أخلاقي، Ethical أخلاقي

الأخلاق (Ethical) تم الفرد و الشخص القائم بعمل ما، فهي شخصية و ذاتية تخص الفرد، و النظريات المتعلقة بالأخلاق

تشمل كل طرائق الدفاع و الحث على عمل الخير و الابتعاد عن الشر و القيام بالصالح و الابتعاد عن الفاسد و اعتماد الحق بعيداً عن

الباطل و الصدق بعيداً عن الكذب و الفضائل بدل الرذائل. و على الرغم من ذلك هناك تمييز ضمن الأخلاقي بالنسبة لمعنى أو

استخدام الكلمات الأخلاقية، لأنه حتى عند استخدام هذه الكلمات فإنها تستخدم للإشارة إلى البشر فقط، وإلى الصفات

الشخصية التي يفضلها يطلق عليهم صفة أخيار، واستخدام هذه الكلمات له شقين: هما وضعي Positive، و

معياري Normative، وعند استخدام الأخلاق بالمعنى الوضعي، فإنه يقصد المستخدم من المصطلحين أن يشير إلى أي نظام

للقواعد، أو المعايير للصفة و السلوك البشري بغض النظر عن استحسانه لذلك من عدمه.

و عند الاستخدام بمعنى معياري فإنه يقصد المستخدم بالكلمات (الأخلاقية) و الصفات المطابقة مثل (أخلاقي) أن يكون لها قوة

دافعية (للاستحسان) قوية، في هذه الحالة يذكر الصفة و السلوك البشري على أنه حميد، و نلاحظ هنا أن الاستخدامات الإيجابية

عاكسة للآخر، بينما أن الاستخدامات المعيارية عاكسة للذات، لأن الاستخدام الوضعي لا يعكس تقييمات الفرد الذاتية، بينما

الاستخدام المعياري يعكس التقييمات الذاتية، و عن هذه التميزات يظهر مصطلح (العواقب التحليلية)، عندما يقوم باحث في الميتا أخلاق بالتحليل بشكل غير مبالٍ بكلا المضمونين الوضعي و المعياري للأخلاق، فلا يوجد لديه فرضٌ مسبقٌ بوجود حكم معياري أخلاقي عند دخوله في التحليل، لأنه عندما يستخدم مصطلح (أخلاق) لا يعكس تقييماته الذاتية، و لكن عندما يقوم بالتحليل يفترض مسبقاً حكماً أخلاقياً معيارياً ذاتياً من لدنه، لأن استخدامه لمصطلح (أخلاق) يعكس تقييماته الذاتية.

اتجاهات رئيسية

الانفعاليين من أمثال (ستيفنسون)، و التوصيفين من أمثال (تشارلز هير M. R. Hear)، يؤكدون على أن الأخلاق (Moral، أو ethics) التي يقومون بتحليل لغتها لديها صفات رئيسية مشتركة مع مختلف الأنواع اللغوية الأخلاقية في اللغة الانفعالية والوصفية على حد سواء.

و في إطار التميزات المبينة سابقاً، يمكننا الاستنتاج بأن هؤلاء الفلاسفة يهتمون بنفس القدر بالجوانب الأخلاقية و الجوانب اللغوية الأخلاقية، بالإضافة إلى الأخلاق الوضعية و المعيارية، حيث نجد (ستيفنسون) يقول: "يمكن استخلاص مقولة حول أية مسألة وقائعية يعبر متحدث ما عنها بتغير المواقف، على أنها سبب مع أو ضد حكم أخلاقي"⁽⁷⁾.

يبدو هذا المدخل وصفيًا بشكل صرف، أي أنه وضعي، و لذلك يمكننا أن نطلق على الميتا أخلاق مسمى (وضعية)، و لكن مع أن مصطلح وضعي مبرر بقدر بحثه عن تحليل نوعي لما هو مشترك بين جميع الأخلاقيات، على الرغم من ذلك تظل هناك مسألة مفتوحة و هي ما هو التحليل السليم للأخلاق المعيارية؟ بمعنى هل يمكن للميتا أخلاق أن نخبرنا بالفرق بين لغة رجل ناضج أخلاقياً و لغة رجل أفاق مخادع عندما يستخدم كلاهما نفس اللفظ؟ قد تجيب الميتا أخلاق عن هذا التساؤل بالإيجاب من خلال وسيلة تركيز الانتباه على مسائل الطريقة مقابل مسائل المعنى، حيث نجد (هير) يميز بين الطرق الجيدة و الطرق السيئة في تبرير القرارات الأخلاقية، أو بين مختلف درجات جودة تأسيس قرار أخلاقي طبقاً للدرجة التي يبنى فيها القرار، على اعتبار لجميع العوامل المتصلة بالقرار، لعل هذا يعني بأن تحليله المنطقي هو في الوقت ذاته أخلاقي معياري، من حيث أنه يميز بين ما يعتبره هو شخصياً على أنه صالح أخلاقياً

(7) عزمي إسلام: مبادئ الأخلاق لجورج مور، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م)، ص 6، 7.

أو سييء، من خلال تمييزه بين الشخص الناضج أخلاقيا و المراهق أخلاقيا، فيحلل طريقة اتخاذ أحكام أخلاقية يعتبرها الطريقة الصحيحة، و على نفس المنوال فإنه يتخذ لنفسه حكما أخلاقيا معياريا (8).

هناك إشارات عديدة بأن علماء الميتا أخلاق المحدثين أدركوا أن نقطة التعامل نوعية مع الملامح التقويمية، أو التوصيفية أو الملامح الانفعالية في اللغة المشتركة بين الأخلاق الوضعية و الأخلاق المعيارية، تترك مسألة المنطق المميز في لغة الأخلاق المعيارية مفتوحة دون حسم، في مقابل المدخل التعميمي فأكدوا على طرق الاستدلال الأخلاقي في مقابل الترغيب و التقييم الأخلاقي مقابل التعبير عن المواقف، أحد النقاط المحورية لهذه التميزات أن الأحكام الأخلاقية يجب أن تبنى على اعتبارات حيادية، أو قابلة للشمول مقابل الصفات الذاتية و الانحيازية للأحكام التي تكون غير أخلاقية أو مخلة بها.

نستنتج من ذلك أن الميتا أخلاق ليست حيادية في العادة بأي من المعنيين المبينين أعلاه لأنها:-

— بخصوص اختيار الموضوع تحت التحليل، يختار الفيلسوف الميتا أخلاقي لدراسة تلك الأنواع من اللغة و الفعل فيما يعتبر أنها صفات أخلاقية، بشكل خاص صفات الأخلاق المعيارية مقابل مختلف أنواع اللغة، أو السلوك التي يحدث فيها ترغيب أو التعبير عن المواقف.

— بخصوص تقييم الموضوع تحت التحليل فإن الميتا أخلاق عن طريق اختيارها تتخذ ضمنا حكم أخلاقي معياري، لأنها بذلك تميز الأخلاقي عن غير الأخلاقي، و لكن أيضا عن المنحل عنها.

يقول الفيلسوف (هامبشاير Hampshire): -"إن تشخيصي للأحكام الأخلاقية على أنها تقارير بشكل صرف أو بشكل كبير عن مشاعر، أو مواقف تشخيص غير مكتمل على أقل تقدير و غير كامل بشكل مضلل، لأن إجراءات التدبر التقليدية التي بني عليها الحكم تم كبتها أو تجاهلها، إذن لم أكن مستعدا لإنتاج مثل هذه المجادلات العملية و أشير إلى ما كان يجب عمله، فإنني لا أكون بذلك قد أجريت حكما أخلاقيا حقيقيا، لكن مجرد التعبير أو الإبلاغ عن مشاعري فقط لا غير" (9).

(8) فؤاد كامل، جلال العشري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، (دار العلم، بيروت، ط1، ب ت). ص33.

(9) فرانكا، فلسفة الأخلاق، ترجمة هادي الصادقي، نشر طه، 1376 هـ . ش، ص 205 . 208.

من المؤكد أن الميتا أخلاقيين يحاولوا الوصول إلى ما هو (أخلاقي بصدق)، أو أخلاقي (بشكل خاص) في أحكامنا الأخلاقية مقابل جوانب أخرى من الأحكام العملية، أو القرارات أو الصفات ذات الصلة بشكل عام، فالقول بأن شيئاً ما أخلاقي معياري هو القول بأنه صالح أخلاقياً (طيب)، و القول بذلك تعبير عن استحسان لذلك الشيء، يظهر ذلك في المصطلحات المعيارية المدنية أي (المقللة للقيمة).

يجب أن نلاحظ أيضاً أنه حتى لو تطلب تحليل الأخلاق المعيارية التزاماً معيارياً من جانب المحلل، فذلك لا يتضمن بالضرورة إما أنه مصلح أو يستهدف إصلاح اللغة العادية أو أن ينشئ لغة أخرى مختلفة في مكانها، بمعنى آخر أن ما يعتبره المحلل على أنه أخلاق معيارية يتم التعبير عنه باللغة العادية بواسطة أناس عاديين مثل أساليب أو طرق السلوك الأخرى.

استقلال المعيارية عن الميتا أخلاق

هناك رأي يعتقد بأن الأخلاق المعيارية لا تعنى و لا تفترض مسبقاً مبادئ أخلاق فوقية محددة، إلى درجة أن الأخلاق المعيارية نفسها تتوافق مع الميتا أخلاق المختلفة أو حتى المتعارض منها، بالفعل المقولة الأخلاقية المعيارية لا تفترض مسبقاً أية نظرية ميتا أخلاقية حول طبيعتها أو مكانتها في لغة الرمز.

المسألة التي تثيرها هذه النظرة هي أن صفة و محتوى تلك الأخلاق المعيارية ثابتة، أو متطابقة وسط تغييرات في الميتا أخلاق، فتعبير الأخلاق المعيارية يشير إلى أحكام و قواعد للسلوك يعتبرها مستخدم التعبير على أنها القواعد الصحيحة أو السليمة.

تتناول نظم الأخلاق المعيارية مسائل معاني الأحكام الأخلاقية، و طرق إجراء أحكام أخلاقية و تأييدها مثلما تناولها الميتا أخلاق، بالنسبة لفلاسفة الأخلاق المعيارية مسائل الميتا أخلاق عن المعنى و الطريقة جوهرية بالنسبة لمحتوى و قواعد التقييمات الأخلاقية المعيارية، أي أن هذه المسائل أيضاً مسائل أخلاق معيارية، و ذلك لأن ما يحدث بين الأخلاق الجيدة و الأخلاق السيئة لدى فلاسفة من أمثال: (أرسطو 322،384 ق.م Aristotle و كانت 1724،1804 Kant) و بالتالي في الأفكار الشائعة التي يودون تطويرها بالتحديد الملامح النفسية و المنهجية، موضوعات لمختلف التحليلات للميتا أخلاق، و بالتالي فالنظرة التي ترى أن

الأخلاق المعيارية تتوافق مع الميتا أخلاق المختلفة و حتى المتعارضة، يمكنها أن تصل إلى استنتاجاتها عن طريق تقييد مجال الأخلاق المعيارية دون داع و بطريقة لا تتماشى مع محتواها، أما في الأخلاق الفلسفية التقليدية أو في آراء لغة و أفعال الناس العادية (10).

الميتا أخلاق في بحثها داخل معاني المصطلحات الأخلاقية و في طرق تأييد الأحكام الأخلاقية، تهتم بالأحوال النفسية بمعنى أنها تسأل ما إذا كانت الأحكام تعبيراً، عن العاطفة أو الأوامر أو مشتقة من إدراك علمي أو من استلهاهم خاص.

تشخيص الميتا أخلاق على أنها تهتم بالأحوال النفسية و لا تتعارض مع أنها تدخل في تحليل منطقي، و مصطلح منطقي كما هو مستخدم هنا، و في تحليلات الميتا أخلاق تحت المناقشة يشير إلى دراسة أنواع المعنى عن طريق شروط و أنواع الطرق المستخدمة في المجادلات، و يمكن شرح كلا من المعنى و الطرق ليس فقط في أطر نحوية و لغوية، و لكن أيضاً في أطر نفسية أو (نفعية)، تماماً مثلما يرى (ستيفنسون) (11) بأنه يختار المعنى الذي يعتبره أكثر خدمة لمفهوم المعنى الذي يجب فيه تعريف و تحديد معنى إشارة، في إطار ردود الفعل النفسية لدى من يستخدم تلك الإشارة.

يظهر تقييد ثنائياً حول محتوى الأخلاق المعيارية، حيث أن هناك رأي بأنه بينما تعرض الأخلاق المعيارية أحكام تقيّم الفاعلية مع إشارة خاصة إلى الأحوال النفسية في الفاعلين وراء أفعالهم الظاهرة، فإن الميتا أخلاق على الجانب الآخر ترضي تحليلات لهذه الأحكام المعيارية بإشارة خاصة للأحوال النفسية لدى الحكماء أو الناقدين، و نظراً لهذا الاختلاف في مكان الأحوال النفسية فليس هناك تداخل بين الأخلاق المعيارية و الميتا أخلاق، إذ إن الأخلاق المعيارية تقتصر على التفاعل مع الفاعلية و ليس مع حكام أو نقاد الفاعلين، و بشكل أكثر عمومية هذا الفرق بين المعيارية و الميتا أخلاق هو نتيجة للمستويات المختلفة التي يعملان فيها، الأخلاق المعيارية تحكم على أفعال و فاعلين بينما تحلل الميتا أخلاق تلك الأحكام ذاتها.

(10) ج. فارنوك، فلسفة الأخلاق في القرن الحالي، ترجمة صادق اللاريجاني، (نشر مركز ترجمة ونشر الكتاب. طهران 1368 هـ . ش)، ص 9. 12.

(11) C. L. Stevenson, "The Emotive Meaning Ethical Terms", (Harvard University, 1935), p.6.

ليس هذا مجال الأخلاق المعيارية فقط، إذ إنها ليست مقصورة على أحكام معزولة للأفعال ولكنها عبارة عن بيان لقواعد، أو معايير يجب أن تتوافق معها الأفعال إذ كان يجب أن يصدر عليها حكم بأنها صالحة، و هذه المعايير لا تشير فقط إلى الأفعال نفسها و لكن إلى الأحوال النفسية للفاعلين الذين يؤدون تلك الأفعال⁽¹²⁾.

تحتوي الأخلاق المعيارية بوصفها جزءاً رئيساً من التحليل للطرق و العمليات النفسية على ما هو إرادي و عقلائي، حيث تتشكل الأحكام الأخلاقية المعيارية بواسطة فاعلين على شكل مؤدين لأفعالهم أو مبررين لها عن وعي و تبصر، تحليل هذه الطرق وصفي حول كيفية تشكيل الأحكام الأخلاقية الجيدة، أو تقديم لمعايير الأحكام الأخلاقية الجيدة، و بالتالي فإنها توصيفية، و لكن تحليل هذه الطرق هو تحديدا ما تقدمه الميതأ أخلاق بالمثل، أنصار الرأي بأن الميതأ أخلاق و المعيارية مستقلان عن بعضهما بعضا يفترضون تفريق بين أربعة مستويات منفصلة و هي:-

1. أفعال أو صفات الفاعل.
2. أحكام أخلاقية معيارية حول أفعال أو صفات الفاعل.
3. الأحوال النفسية للفاعل.
4. التحليل الميതأ أخلاقي للبند الثالث أقصد الأحوال النفسية للفاعل.

الافتراض بأن الأشخاص المحددة عند المستويات الأولى و الثاني و الرابع قد يكونوا جميعا مختلفين، فعلى المستوى الأول لدينا الفاعل و على المستويات الثاني و الثالث حكم أو ناقد الفاعل، و على المستوى الرابع المحلل المنطقي للحكم أو الناقد و يسمى ذلك وجهة النظر التباينية.

وجهة النظر البديلة هي أن الثلاثة الأولى متضمنة في الفاعل نفسه، لأنه يجب أن يتصرف كذلك المستوى الثاني و يتوصل إلى هذا الحكم بطرق إرادية و عقلائية معينة بالمستوى الثالث، و عندما يقرر الفيلسوف الأخلاقي في المستوى الرابع ما هي طرق الحكم على ما يتم فعله، فإنه يصف ما يفعله الفاعل الأخلاقي و طرق توصله لحكمه، و تسمى هذه النظرة وجهة النظر للهوية⁽¹³⁾.

(12) Ibid.,p (3).

(13) Ethics, Second Order Ethics, Analytical Ethics.p.30.

كلتا وجهتي نظر (الهوية و التباين) يحافظان على فكرة الاختلافات في المستويات، بقدر اعتبارهما للتحليل الميتا أخلاقي للأحوال النفسية في الأحكام الأخلاقية المعيارية، على أنها على مستوى مختلف عن تلك الأحكام نفسها، لكن يبقى هناك تناقضا مهما، بحسب نظرة التباين على مستوى الميتا أخلاق الرابع يعتبر مستقلا عن المستوى الثاني، من حيث أنه يمكن أن تكون هناك تحليلات الميتا أخلاق مختلفة لنفس الحكم الأخلاقي المعياري، لكن بحسب نظرة الهوية مستوى الميتا أخلاق الرابع ليس مستقلا عن المستوى الثاني، و بالتالي فإن التحليل الميتا أخلاق عند المستوى الرابع إذا حلل المستوى الثاني في إطار الخوف، فإنه يحلل حكم مختلف تماما عما لو كان يحلل المستوى الثاني في إطار قناعات بالصالح المشترك.

و بالتالي يجعل تحليل الميتا أخلاق هناك فرقا بالنسبة للصفة الأخلاقية المعيارية، للحكم الذي يقوم بتحليله من حيث أن نوع الحالة الدفاعية، أو الحالة النفسية الأخرى التي تعزي على الحكم، يحدد مبدأ أخلاقي معياري كامل ما إذا كان الحكم أو الشخص الذي يجريه صالحاً أخلاقياً أم فاسداً أخلاقياً، هكذا هو الأمر بغض النظر عن الفعل الصريح الذي قد يكون الحكم مستحسناً له أو مستهجنًا.

لنفترض أن المعياري يقول:- أن الشرط الضروري لحكم صالح أخلاقياً، أن من يجري الحكم يجب أن يأخذ في الاعتبار احتياجات و مصالح الآخرين، و كذلك احتياجاته و مصالحه، بحيث يجب أن يكون حكمه بهذا المعنى شمولي كما يفعل ذلك أصحاب المنفعة العامة، من أمثال (جريمي بنتام 1748-1832 Jeremy Bentham، و جون ستيوارت مل 1806 Mill -1873). بينما يقول الميتا أخلاقي:- أن كل حكم تقييمي يعبر عن عواطف الشخص الذي يجري الحكم دون أي تقييد ضروري تجاه اعتبار احتياجات و مصالح الآخرين⁽¹⁴⁾.

و الملاحظة المنطقية التي تحصل في هذه الحالة:- أن يتحدث المعياري و الميتا أخلاقي عن نوع الحكم نفسه، الأول تحديدا و الثاني تعميماً، المعياري يؤكد شيئاً حول هذا الحكم ينكره الميتا أخلاقي، و بالتالي و بعيداً عن كونهما مستقلان عن بعضهما بعضاً تكون الميتا أخلاق متضمنة في الأخلاق المعيارية، و تتضمن بالتالي الفروقات في الميتا أخلاق فروقات في الأخلاق المعيارية.

(14) Prescriptivism; R. M. Hare, Rout, ledge encyclopedia of philosophy; Routledge Inc. 1998, V. 7 p. 667

الخاتمة

في الختام نصل إلى أن هناك صلات وثيقة بين الأخلاق المعيارية و الميـتا أخلاق متمثلة في الآتي:-

- عندما يحلل الميـتا أخلاقي ما هو بالنسبة له أخلاقا وصفية و كذلك أخلاقاً معيارية، بغرض التيقن عما هي المعاني الشائعة في كلاهما، عندئذ لا يوجد حكم أخلاقي معياري محدد خاص به مفترض مسبقاً أو متضمناً له، و من وجهة نظره تتوافق الميـتا أخلاق التي لديه مع مختلف الأخلاق المعيارية أو المتناقضة.
- لكن من وجهة نظر الأخلاق المعيارية التي تضع معيار القيمة الأخلاقية في أحوال نفسية محددة، قد تقدم التحليل الميـتا أخلاقي لمعاني و طرق الأحكام الأخلاقية، في إطار الأحوال النفسية معيار بديل لقيمة أخلاقية بحيث يحدث تحليل الميـتا أخلاق، إذ يبدو في هذا الموقف و من وجهة نظر الأخلاق المعيارية، أن هناك علاقة تبادلية تشابكية بينها و بين الميـتا أخلاق، من حيث إن الميـتا أخلاق تعني أو تفترض مسبقاً نوعاً ما من الأخلاق المعيارية مقابل نوع آخر، بحيث لا يتوافق نفس الميـتا أخلاق مع أخلاق معيارية مختلفة، و الأخلاق المعيارية تعني أو تفترض مسبقاً نوعاً ما من الميـتا أخلاق، مقابل نوع آخر بحيث لا تتوافق نفس الأخلاق المعيارية مع الميـتا أخلاق المختلفة.
- هذه العلاقة المنطقية بين الأخلاق المعيارية و بين الميـتا أخلاق قد لا تحدث عندما تضع المعيارية المعينة معيار القيمة في شيء ما، بخلاف الأحوال النفسية أو عندما تتناول الميـتا أخلاق مسائل المعنى بشكل عام.
- عندما يحلل الميـتا أخلاقي المعاني المحددة أو طرق ما هي بالنسبة له أخلاق معيارية، عندئذ تعني الميـتا أخلاق أو تفترض مسبقاً نوعاً واحداً من الأخلاق المعيارية مقابل نوع آخر، بحيث لا تتوافق نفس الميـتا أخلاق مع ما هو مختلف من التقييمات الأخلاقية و هي أخلاق معيارية مختلفة.
- على الأقل تحت الحالات الثانية و الرابعة مهمة الميـتا أخلاقي غير قابلة للتمييز عن مهمة الأخلاقي المعياري.

المراجع

1. أوليفر لي مان: مستقبل الفلسفة في القرن الواحد و العشرين، أفاق جديدة للفكر الإنساني، (عالم المعرفة 301 مارس، 2004 م)، ص 92.
2. C. D. Brood: "Discussion The Philosophy of G.E .Moore" ,Mind,vol.lxx,1961,No. 280. p63.
3. اميل برهية: شكوك حول فلسفة القيم، (مجلة الميتافيزيقا و الأخلاق، تموز، 1939م)، ص 112.
4. تدهوند رتس: دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، الجزء الثاني، (دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2005م)، ص 854.
5. C. L. Stevenson, "Ethical and Language" Ed. by Binkley, Contemporary Ethical Theories, , p.27..
6. عادل العوا: المذاهب الأخلاقية "عرض و نقد"، (ج2، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1959م)، ص 38.
7. عزمي إسلام: مبادئ الأخلاق لجورج مور، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م)، ص 6، 7.
8. فؤاد كامل، جلال العشري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، (دار العلم، بيروت، ط1، ب ت). ص 33.
9. فرانكنا، فلسفة الأخلاق، ترجمة هادي الصادقي، نشر طه، 1376 هـ . ش، ص 205 . 208.
10. ج. فارنوك، فلسفة الأخلاق في القرن الحالي، ترجمة صادق اللاريجاني، (نشر مركز ترجمة ونشر الكتاب . طهران 1368 هـ . ش)، ص 9 . 12.
11. C. L. Stevenson, "The Emotive Meaning Ethical Terms", (Harvard University, 1935), p.6.
12. Ethics, Second Order Ethics, Analytical Ethics.p.30.
13. Prescriptivism; R. M. Hare, Rout, ledge encyclopedia of philosophy; Routledge Inc. 1998, V. 7 p. 667

* * * * *